خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٦/٧/٣

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

سأقدم اليوم جانبًا من المواقف المشرقة التي تجلّت فيها شفقةُ المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام وجُوده وسخاؤه.

يقول شيخ يعقوب علي عرفاني رضي الله عنه: كان عطاء المسيح الموعود عليه السلام كبحر لا شاطئ له، وكانت يده كسحابة تمطر دررا ولآلئ، فلا تفتأ تفيض فتروي المحتاجين. وكان هذا السخاء يتضاعف كثيرا في شهر رمضان المبارك. كان عليه السلام حريضا على الإنفاق على ذوي الحاجة بطرق خفية، ولم يكن يتردد قط في أن يؤْثر غيرَه بأثمن ما يملك. وكانت هذه سيرته الكريمة في جميع مراحل حياته، حتى قبل بعثته وإعلانه أنه مأمور من الله تعالى.

ويروي ميان عبد الغفار الكشميري، متحدثًا عن ألطاف المسيح الموعود عليه السلام وحسن معاملته أنه عندما تزوج أهداه المسيح الموعود عليه السلام قطعتين ثمينتين من الحلي إعانةً له على نفقات الزواج. وكان ذلك قبل بعثته عليه السلام، حين كان يعيش حياة العزلة.

يضيف الشيخ عرفاني رضي الله عنه أن هذا الحادث لم يكن فريدا من نوعه، بل هو واحد من وقائع كثيرة من هذا القبيل. فلم يحدث ولا مرة أنّ سائلاً سأله شيئا ثم ردّه عليه السلام دون أن يعطيه، أو أدرك حاجة أحد ثم توانى عن قضاء حاجته، وإن لم يطلبها صاحب الحاجة. فقد كان كريمًا، ابن كريم، ابن كريم.

تروي والدة السيد بشير بهتي أنه عند زواج أمير المؤمنين، الخليفة الثاني، مرزا محمود أحمد، جاءت امرأة من المغنيات الشعبيات إلى بيته عليه السلام تحمل طبلًا، وأخذت تقرعه طلبًا للعطاء، إذ جرت العادة في مثل هذه المناسبات أن يُعطى أصحابُ هذه المهنة شيئا. فلما سمع المسيح الموعود عليه السلام صوت الطبل، قال على الفور: "قولوا لها أن تكف عن العزف على الطبل، وأعطوها ما تطلب." فأُعطيتْ أربع أو خمس روبيات.

ثم قالت المرأة: إن الشتاء قد أقبل وإنها لا تجد ما يقيها من البرد، فأمر عليه السلام أيضًا بأن تُعطى لحافًا وأن تتوقف عن العزف على الطبل.

يقول ميرزا بشير أحمد رضي الله عنه: هنا يجب أن يكون معلوما أولًا أن المسيح الموعود عليه السلام لم يكن مولَعا بلباس معين. ففي السنوات الأخيرة من حياته كانت تصله الملابس البسيطة والجاهزة هديةً، كالمعاطف والصدريات والقمصان والسراويل وما شابهها، وكان الشيخ رحمة الله اللاهوري يقدمها له في معظم الأحيان، نذرا بمناسبة عيدَي الفطر والأضحى، فكان المسيح الموعود عليه السلام يستعملها. وكان عليه السلام أحيانًا يأمر بنفسه بإعداد بعض الثياب له، أما العمامة فكان غالبًا يشتريها بنفسه ويلبسها.

فكانت الملابس تُعدّ له وتُهدى للآخرين على مجرى العادة، إذ كان الناس يتسابقون إلى طلبها تبركًا، فيهبها لهم بكل سرور. بل كان يحدث أحيانًا أنه إذا أعطى ثوبًا لأحد، اضطر إلى ارتداء ثوب آخر جديد في الحال. وكان بعض المتفرسين يرسلون إليه لباسا جديدًا، ويرجون منه أن يمنحهم بدلًا منه لباسا سبق أن لبسه.

ويكتب المفتي محمد صادق رضي الله عنه أن المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام قال له: "كانت عندي نسخة صغيرة الحجم للقرآن الكريم، تمتاز بخط واضح وجميل، وكنت معجبا بها بشدة، ولكن أحد الناس طلبها مني، فأعطيته إياها حتى لا أردَّ سائلًا".

يروي شيخ محمد القرشي، وكان يعمل ساعي البريد في قاديان: ذات يوم جاءت عدة حوالات بريدية باسم المسيح الموعود عليه السلام فذهب إليه حاملا إياها لتسليمها إليه. وبعد أن سلّم المبالغ إلى المسيح الموعود عليه السلام، مضى لإكمال بقية عمله في المدينة. وعند عودته إلى مكتب البريد قرب الساعة الرابعة مساء، تبين له عند مراجعة الحسابات أنه أعطى أحد الأشخاص ست روبيات إضافية خطأ. فأصابه همٌّ شديد، لأن المبلغ الذي سُلِّم إلى المسيح الموعود كان كبيرًا. فقال له مدير البريد، وكان اسمه الله دِتّه وهو من غير الأحمديين المعاندين: اذهبْ إلى المرزا، فلعل الأمر يتضح. فقال: لم أُردْ أن يزعج حضرته مرة أخرى، لكن بسبب إصرار مدير مكتب البريد المتكرر، ذهبتُ إليه وقلتُ: يا سيدي، لقد أخطأت اليوم ودفعت ست روبيات إضافية لأحد الأشخاص. فقال المسيح الموعود عليه السلام: "يا صاحبي، لا أعلم أصلًا مقدار المال الذي استلمتُه، وقد أنفقت منه شيئًا ووزعته على الناس. ولكن لا بأس، فما دمتَ رجلا فقيرا، سأعطيك هذا المبلغ. ولكن كن حذرا في المستقبل لأنك رجل فقير".

ويُبرز هذا الحادث بجلاء ما اتصف به المسيح الموعود عليه السلام من الأخلاق السامية والسخاء، والعطف على الفقراء.

يروي السيد مير مهدي حسين أنه في إحدى المرات طلب منه المولوي محمد أحسن نسخة من كتاب "ينبوع المسيحية"، فقال له: لقد أوصانا حضرته عليه السلام بأن نحتفظ بعدد معين من النسخ في المكتب، لأن

الحكومة تطلب أحيانًا نسخًا من الكتب المطبوعة، ولا يبقى لدينا سوى هذا العدد المخصص، فلا توجد نسخة إضافية لأعطيك إلا أنك تستطيع أن تأخذها إذا استأذنتَ المسيح الموعود عليه السلام.

فكتب المولوي محمد أحسن إلى المسيح الموعود عليه السلام، رسالة وكانت تتلخص: لم يبق في المكتب سوى عشرين نسخة من كتاب "ينبوع المسيحية"، وأنا بحاجة إلى نسخة منها، فإن لم يكن في ذلك حرج، أتمنى أن تأذن لي بالحصول على نسخة واحدة.

فلما قرأ حضرته الرسالة، كتب عليها: "يمكن أن تأخذ نسخة واحدة"، ووقّع عليها.

فهذا الحادث تبين من جهة صدق مقال الصحابة وصراحتهم، إذ أوضح بكل صدق عدد النسخ المتبقية وأنه بحاجة إلى واحدة منها، وهذا ما قاله المشرف على المكتب المعني. فهذا كان التزامه بالصدق، ومن جهة أخرى، تُبرز لطف المسيح الموعود عليه السلام، إذ لم يردَّ طلب السائل، مع أن تلك النسخ كانت محفوظة على سبيل الاحتياط وكان من الممكن أن يحتاج إليها في أي وقت.

يروي شيخ يعقوب علي عرفاني: كان الباندیت موهن لال- وكان شابًا ذكيًا- يحضر أحيانًا إلى المسيح الموعود عليه السلام حاملًا رسالة من الباندیت ليكهرام. ونظرًا للعلاقة القديمة التي كانت تربط أسرة موهن لال بأسرة المسيح الموعود عليه السلام، لم يكن حضرته يعيده خالي الوفاض، بل كان يكرمه دائمًا بشيء من الهدايا، كالفاكهة أو السكر الفاخر، الذي كان يُعَدّ آنذاك من أنفس الهدايا.

يضيف شيخ يعقوب علي: كانت بينه وبين أسرة موهن لال صداقة قديمة تعود إلى عهد والده. وكان موهن لال كلما استعاد ذكريات تلك الأيام قال دائما: كان حضرته يعاملني بمنتهى اللطف، ويستقبلني دائمًا ببشاشة وابتسامة، ولم يدعني أرجع قط من عنده خالي اليدين.

ويذكر موهن لال أنه في إحدى المرات أهداه المسيح الموعود عليه السلام تفاحًا فاخرًا، فلما عاد سأله الباندیت ليكهرام، كعادته: ماذا جئت به؟ فقال: جئتُ بتفاحٍ. فنظر إليه ليكهرام بشغف وقال بلهجة ملؤها الطمع والحرص: هات، هات، لأتناول منه. قلتُ له مازحا: يجب ألا تأكل شيئًا جاء من بيت عدوك! فأنت لا تكف عن معاداة المسيح الموعود، فكيف تطلب شيئا جاء من بيته؟

فما كان من ليكهرام إلا أن نزع التفاح من يده على الفور، وأخذ يأكله. ويختم موهن لال حديثه بقوله: ما رأيت من حضرته إلا المحبة وحسن المعاملة.

يروي منشي ظفر أحمد رضي الله عنه أن المسيح الموعود عليه السلام كان يحتفظ بمسكٍ نفيس. فقال له ذات يوم: يا سيدي، أحتاج إلى شيء من المسك. فوضع حضرته العلبة أمامه وقال: "خذ منها ما شئت". فأخذ قدرًا يسيرًا، فابتسم حضرته وقال: "هذا القدر لا يكاد يُذكر". ثم تناول حضرته بنفسه ما يربو على عشرة إلى خمسة عشر غراما من المسك، وأعطاه إياه.

وكان المسك آنذاك، كما هو اليوم، من أنفس المواد وأغلاها ثمنًا، ويُستعمل في الأدوية والعطور، غير أنه عليه السلام ما كان يبالي بقيمة الأشياء المادية، بل كان يهمه مكارم الأخلاق وسعة الكرم.

وهناك حادث يبرز عطفه على أصحابه كما يرويه الحكيم المفتي فضل الرحمن رضي الله عنه، إذ يقول: رُزقتْ زوجتي بمولود، وبعد سبعة أيام من ولادتها، وقبيل المغرب، بدأت تظهر عليها أعراض التشنج، وكان هذا المرض منتشرا في تلك الأيام على هيئة وباء، فأصابني قلق شديد.

ويتابع قائلًا: بعد صلاة المغرب أسرعت إلى المسيح الموعود عليه السلام، وأخبرته بحالها، فقال: "هذه بوادر مرض خطير، فسارعْ بإعطائها ١٢١٥ مليجرام من الحلتيت، ثم أخبرْني بحالتها بعد ساعة أو ساعة ونصف."

ويقول: نفذتُ ما أمرني به حضرته، ثم حضرتُ إليه مرة أخرى بعد صلاة العشاء، وقلت له: يا سيدي لقد ازداد المرض سوءًا بدل أن يتحسن. فقال حضرته: "أعطها ١٢١٥ مليجرام من الكينا، وأخبرْني بعد ساعة ولا تظن أني قد نمت، بل يجب أن تناديني بلا تكلف من الدرج". فتوجهت إليه مرة أخرى بعد ساعة وقلت له إنها لم تتحسن، فقال: "إذن أعطها ١٢١٥ مليجرام من المسك"، فقلت من أين أُحضر المسك في هذا الوقت، فجاء من الداخل بكفة من المسك، وقال: "أقدر أنه ١٢١٥ مليجرام"، فقلت يا سيدي هذا أكثر من ذلك، فقال: "خذه فسوف يفيدك في المستقبل"، فأخذته وقدمت للمريضة ١٢١٥ مليجرام منه، وتوجهت إليه مرة أخرى وقلت له قد استفحل المرض. فقال: "أعطها عشرة تولة[1] من زيت الخروع"، فهكذا ظل يغير شتى الأدوية، فعدت إليها وقدمت لها ١١٦ جراما من زيت الخروع، فقاءت بشدة، وهذا آخر مرحلة في هذا المرض، وبعد القيء بدأتْ أنفاسُها تختنق وتتقطع، وتشنجت رقبتها إلى الوراء، وأظلمت عيناها وانقطع النطق، فهُرعتُ إليه وصعدت الدرج، وعند سماع صوتي فتح حضرته الباب، فسأل: "هل هناك خير؟". فقلت يا سيدي قد تفاقم وضعها كثيرا، إذ قد اختنقت أنفاسها، وطرأت عليها حالة التشنج وأظلمت عيناها وانقطع عنها النطق، فقال حضرته عليه السلام: "قد استخدمنا جميع الوسائل المادية الممكنة، وهناك وسيلة وحيدة باقية هي الدعاء، فاذهب ولن أرفع رأسي من السجدة إلا بعد أن تتحسن"، ما أعظم هذا اللطف! فعدت من عنده بعد سماع ذلك، وقلت لزوجتي لا يصيبنّك قلق، فقد تولى المتعهد مسئوليته، وكان الوقت آنذاك الثانية بعد منتصف الليل، فتركتُ المريضة على حالها ونمت على سرير في غرفة أخرى، وقلت في نفسي ما دام سيدنا المسيح الموعود عليه السلام قد قال بأنه سيدعو، فلا عمل لي هنا. صباحا استيقظت على صوت إناء فوجدت زوجتي ترتب الأواني تجاه قدمي، فسألتها كيف حالك؟ فقالت، لقد نمتَ فأنزل الله علي فضله بعد ساعتين، فالحمد لله رب العالمين. يُستشف من هذا الحدث أرفع معيار لمواساته عليه السلام وعطائه لأحبته.

---

[1] التولة وحدة وزن تقليدية وتساوي حوالي ١١,٦ جرام

يقول حضرة شيخ يعقوب علي ﷺ: كان في قاديان مزارع غبي يدعى نهال سنغ، وكان في أيام شبابه موظفا في الجيش وتقاعد، وكان بيته ملاصقا لمكتب جناب خان بهادر مرزا سلطان أحمد، حيث كانت الجدران متلاصقة، وكان عدوا لدودا للجماعة، وبتحريضه كانت قد رُفعت قضية جنائية خطرة ضد حضرة حكيم الأمة نور الدين الخليفة الأول، وعددٍ من الأحمديين غيره. وكان هذا الرجل دوما يؤذي الأحمديين برفقة أناس آخرين، وكان من عادته إطلاق الشتائم عليهم، وفي تلك الأيام بالذات حيث كانت القضايا قد رفعت، احتاج لمسك من أجل زوجة ابن أخيه، وهو ما لم يكن يتوفر في مكان آخر فحسب بل كان غاليا أيضا، ففي هذه الحالة جاء هذا العدوُّ بابَ سيدنا المسيح الموعود عليه السلام وسأله المسكَ، فخرج إليه سيدنا المسيح الموعود عليه السلام فور ندائه، ولم يدَعْه ينتظر ولا لحظة واحدة، وبعد سماع طلبه دخل لتوه البيت، وقال له: "امكث قليلا أُحضرْ لك المسك"، ثم جاء بستة جرامات تقريبا من المسك وسلمه له.

يقول حضرة شيخ يعقوب علي ﷺ: حين تفشى الطاعون في هذا البلد، بدأ سيدنا المسيح الموعود عليه السلام يصنع دواء بوحي من الله وفي ضوء ما علَّمه ﷻ وسماه "الترياق الإلهي"، ولم يكن لهذا الدواء وصفة معينة، ومكونات معينة، بل كان عليه السلام يحضر مكوناته بتوجيه الوحي الخفي، ولم يكن يراعي القواعد السائدة للطب، بل كان قد جعل مقادير وأوزان ذلك الدواء تابعا لذلك العلم الإلهي الأصيل، فكان يضيف إلى الدواء المكونات بحسب ما يتلقى العلم من الله، فقد أضيف إلى هذا الدواء أحجار كريمة يقدر ثمنها بالآلاف، إضافة إلى أدوية غالية أخرى كثيرة. فلما تم إعداد هذا الدواء وزَّعه حضرته عليه السلام على الناس بمنتهى السخاء والكرم، ولم يأخذ من أحدهم مقابل ذلك ولا حبة واحدة، بل حتى الذين طلبوه من خارج قاديان دفع لهم رسوم الطرد المسجل أيضا من جيبه. يقول الدكتور صادق المحترم أن أحدهم طلب منه ١٩٤٤ أو ٢٩١٦ مليجرام من هذا الترياق فأرسل له كمية كبيرة في عُلب بالبريد المسجل. يقول حضرة عرفاني: أنا أيضا طلبت من حضرته فأعطاني كمية كبيرة منه، ولم يكن هذا دأب حضرته عن الترياق فقط بل كانت أسوته في توفير الأدوية أنه أحيانا كان يسلِّم السائل الزجاجة الكاملة، كما هيأ المسك الغالي من أروع الأنواع، لألد أعدائه، وقد مرَّ ذكر ذلك قبل قليل.

يقول حضرة شيخ محمد نسيم: مرة احتجت إلى المسك وكان الحصول عليه في قاديان مستحيلا، فطلبته من حضرته عليه السلام فأعطاني أكثر من حاجتي بكثير.

يقول حضرة منشي ظفر أحمد الكبورتهلوي إن شخصا حصل على طريقة إعداد دواء ما ببذل جهود مضنية، ثم حضَّر الدواء بإنفاق مبلغ كبير وقدمه لحضرته عليه السلام مع طريقة إعداده. فطلب مني أحد الإخوة الحصول على تلك الطريقة لكن ذلك الأخ لم يكن ليطلع عليها أحدا، فتوجهت إلى حضرته عليه السلام وسألته هل أعطاكم فلان من الإخوة دواء؟ فقال: "هناك تلك الزجاجة فخذْها"، فقلت له أريد طريقة إعداده أيضا، فقال عليه السلام: "هي الأخرى موجودة معه". فأخذت منه ذلك الدواء مع طريقة إعداده، وأريتُه ذلك

الأخ قائلا، انظر إنك لم تخبرني عن ذلك لكنني حصلت عليه. فذهب إلى حضرته وقال له يا سيدي، قد أعطيتم ذلك لأحد. فقال عليه السلام: "قد جاء يطلبه مني فأعطيتُه فأخذ". ثم قال لي عندي دفتر خاص لوالدي المرحوم، إذا كنت تريد الوصفات فإنني أعطيك ذلك الدفتر وهو يحتوي على وصفات رائعة عدة، وأسلمه لك. لكنه لاحقا لم يخطر ببالي الحصول على ذلك الدفتر، أما حضرته فكان يريد أن يسلمه لي.

كتب حضرة مفتي محمد صادق في رسالة إلى سيدنا المسيح الموعود عليه السلام: منذ فترة أجد مشكلة في إعداد الطعام في البيت بسبب حمل زوجتي. فالخبز أحضره من التنور أما إعداد الطبيخ فأجد فيه المشكلة. لذا ألتمس من حضرتكم أن تهيئوا لي الطبيخ من دار الضيافة لمدة قصيرة. فكتب حضرته إلى ميان نجم الدين رضي الله عنه المشرف على المطبخ مؤكدا، أن يهيء لمفتي المحترم طبيخا جيدا لوجبتين من المطبخ.

يقول حضرة محمد إسماعيل رضي الله عنه: ذات مرة أراد سيدنا المسيح الموعود عليه السلام إرسال وفد إلى نصيبين، لتحري الحقائق عن أوضاع حضرة عيسى عليه السلام وكان الوفد يضم مرزا خدا بخش المحترم والمولوي قطب الدين المحترم وكان العضو الثالث والدي المحترم ميان جمال الدين، وكان تعيينهم جميعا بالقرعة. فقدم سيدنا المسيح الموعود عليه السلام لكل واحد منهم خمسين روبية لإعداد الملابس وغير ذلك، ثم عقد اجتماع الوداع، لكن هذا الوفد قد أُوقف لاحقا جراء بعض الموانع. فلما توقَّف انطلاق الوفد أراد والدي أن يعيد خمسين روبية لحضرته، فقال حضرته: "حين نقدم لأحد شيئا لا نستعيده". فحين عاد والدي إلى البيت قص علي أيضا هذا الحدث.

روى حضرة ملك غلام حسين: وقع هذا الحادث في الجلسة السنوية لعام ١٨٩٤ أو ١٨٩٥. كان السيد حسام الدين السيالكوتي شغوفا بإعداد وأكل الطعام الشهي. كان ضيوف الجلسة قد حضروا، فأشاد أمام المسيح الموعود عليه السلام بطعام يسمى "شب ديغ"، وقال إنه طعام لذيذ جدا. (و"شب ديغ" طعام يصنع باللحم والأرز ومختلف الخضار، ويطبخ طوال الليل) يقول الراوي: فطلبني المسيح الموعود عليه السلام وقال: "حضرة شاه، آتِه كلما يحتاجه من أشياء". وكان اللحم متيسرا في قاديان، فاشتريناه، وجلبنا اللفت من "بتاله"، واشترينا حوالي مئة كيلو من الأرز من محل شهير هناك. فوُضعت أربعة قدور على النار عند المساء، وفي الصباح قُدّم هذا الطعام إلى الضيوف بحسب رغبة السيد حسام الدين.

وكتب حضرة مرزا بشير أحمد أن منشي ظفر أحمد الكبورتهلوي عليه السلام كتب لي ما يلي: في إحدى المرات نفدت النفقات في الجلسة السنوية، ولم يكن هناك نظام لجمع التبرعات للجلسة في تلك الأيام، بل كان المسيح الموعود عليه السلام ينفق من عنده لطعام الضيوف. فجاء مير ناصر نواب المسؤول عن دار الضيافة إلى حضرته وقال لم يبق شيء نقدّمه للضيوف ليلا (أي نفدت النقود والغلال). فقال عليه السلام: "خُذْ من زوجتي بعض الحليّ وبِعْها وأمِّنْ للضيوف الطعام". فباع مير ناصر نواب حليًّا لأم المؤمنين، أو رَهَنَها، وجاء بالنقود واشترى بها الأغراض لطعام الضيوف. ثم بعد يومين قال حضرة مير ناصر نواب للمسيح الموعود عليه السلام

بالليل وأنا كنت هناك: لا يوجد شيء لطعام الضيوف غدا. لقد دبرنا طعامهم ليومين بالمال الحاصل ببيع الحلي، فماذا نعمل الآن؟ فقال عليه السلام: "لقد دبرنا وأعطينا ما كان في وسعنا آخذين بالأسباب الظاهرة، والآن ليس علينا شيء، بل سوف يدبر لهم الآن الطعام مَن هم ضيوفه"، أي أن هؤلاء جاءوا لوجه الله تعالى وهؤلاء ضيوفه، فهو الذي يدبر لهم الطعام الآن. يقول الراوي: في الغد حضر ساعي البريد إلى المسيح الموعود عليه السلام في حوالي الساعة الثامنة أو التاسعة صباحا، فدعانا أنا وحضرة مير ناصر نواب، وكان في يد ساعي البريد ما بين عشرة إلى خمس عشرة حوالة مالية وصلت من مختلف الأماكن، وكانت كل حوالة منها بقيمة مئة روبية أو خمسين روبية، وكتب أصحابها للمسيح الموعود عليه السلام: نحن معذورون عن حضور الجلسة، ونرسل لكم هذه النقود من أجل ضيوف الجلسة. فاستلم عليه السلام هذه الأموال ثم ألقى خطابا حول التوكل على الله. يقول الراوي: وكان عندها بضعة أشخاص آخرين أيضا، وقال عليه السلام فيما قال: "كما أن الشخص المادي يثق بما في صندوقه من أموال ويقول في نفسه سوف آخذ منها متى أشاء، كذلك فإن المتوكلين على الله تعالى هم أكثر ثقة بالله تعالى من هذا الشخص المادي بماله، فكلما تمسّ بنا حاجة يرسل الله المال من عنده فورا". لقد قال المسيح الموعود عليه السلام: "إن هؤلاء ضيوف الله تعالى إذ قد حضروا من أجله"، ولا شك أنه عليه السلام يكون قد دعا الله تعالى، وكان توكله عليه كاملا، فهيأ الله الأسباب لضيافتهم.

وروى حضرة ميان رحمت الله: كان المسيح الموعود عليه السلام يقول: "إن القحط والوباء يجتمعان في هذه الأيام، ومع ذلك لا يتوب الناس، والجوع يموتون به الناس". ثم بعد ثلاثة أعوام تفشى الطاعون بشدة في البلاد. وقال عليه السلام: "في أيام القحط هذه لقد ورد في الأحاديث أنه سيكون القحط في أيام المسيح الموعود، وقد تحقق قول الله وقول النبي الكريم ﷺ". هذا من جهة، ومن جهة أخرى أمر عليه السلام حضرةَ المولوي الخليفة الأول رضي الله عنه أن يجمع الغلال بقدر ما استطاع. وكان المسيح الموعود عليه السلام يدير شؤون دار الضيافة بنفسه، ولما كان هناك خطر القحط أمر بجمع الغلال قبل وقوعه، ووضع هذه المسؤولية على عاتق حضرة الخليفة الأول وأمره بشراء الغلال فورا. وعملاً بأوامره عليه السلام اشترى مني حضرةُ الخليفة الأول ثلاثين كيسا كبيرا من القمح من أجل دار الضيافة. وكانت التبرعات قليلة، فباع المسيح الموعود عليه السلام كل ما في بيته من الحليّ، وآتى حضرةَ الخليفة الأول سبع مئة روبية لشراء القمح. وكان هذا مبلغا كبيرا يومها. فأرسل حضرةُ الخليفة الأول ميان نجم الدين المرحوم إلى القرية لشراء القمح، وذهب معه مرزا إسماعيل أيضا. فتمَّ شراء الحبوب والغلال. وجاء إلى قاديان كثير من الناس مشردين من بيكانير (منطقة في ولاية راجستان بالهند) حيث كان القحط قد ضرب ديارهم بشدة، فكانت أصوات "الخبز، الخبز" تنطلق من كل طرف وصوب في قاديان. وكان المسيح الموعود عليه السلام قد أمر أن يظل العجين جاهزا كل حين وآن ويخبز الخبز في كل وقت، وقال لميان نجم الدين: "يجب أن يعطى كل سائل الخبزَ ولا يرجعنّ أحدٌ صفر اليدين". وبعد أيام نفدت

الغلال، فألقى المسيح الموعود عليه السلام خطابا قال فيه: "هذا الأمر عابر مؤقت، ولا تتاح فرصة مثل هذه التضحية دوما ولا يُنال مثل هذا الأجر دائما، هذه أيام خاصة للمؤمنين. وفق الله أحبابنا للفوز برضاه". وبعد خطابه عليه السلام جُمعت بعض الأموال، وجاءت بعض الغلال من خارج قاديان، كما تم شراء بعض الحبوب، وهكذا استمر هذا الوضع في أيام القحط، حيث كان الطعام يقدم فورا للذين يأتون من الخارج. وكان المسيح الموعود عليه السلام يقول: "لقد قرأت في الجريدة الفلانية أنه مات الأطفال بعدد كذا في البلد الفلان، ومات الكبار بعدد كذا في البلد الفلاني. لا توجد الغلال. إنه عذاب شديد وغضب من الله بأن الغلال لا تتيسر". وكان عليه السلام يقول مرة بعد أخرى: "الله يرحم"، وكان يسأل ميان نجم الدين عن الوضع في قلق بالغ، كما كان يسأل حضرةَ الخليفة الأول عن الغلال.

في هذه الأيام أيضا تسود بعض بلاد العالم أوضاع مماثلة، فهناك ضيق شديد، وقحط، وشحُّ الغلال والحبوب، أو هناك غلاء فاحش فلا يستطيع الناس شراء الغلال، ويموتون جوعا. بفضل الله إن جماعتنا ترسل الأموال لإعانة الناس وسد حاجاتهم حيثما تصلنا الأخبار عن سوء الأوضاع، وإن أبناء الجماعة يساهمون في هذه المعونة، وأسأل الله تعالى أن يوفقهم لبذل مزيد من الجهود لإعانة الفقراء في المناطق التي أصابها القحط والمجاعة.

وروى حضرة قاضي نور محمد: كنت زميل دراسة لحضرة أمير المؤمنين الخليفة الثاني رضي الله عنه، ووجدت الفرصة لأدرس معه في دار المسيح ليلا، وكان حضرة المولوي شير علي يدرّسنا. كان سيدنا المسيح الموعود عليه السلام يعظ النساء في بيته، وكان صوت وعظه يتناهى إلى أذني، ولكن المؤسف أنني لا أتذكر منه شيئا الآن. وكان الملا أحمد نور يذهب لجلب الدقيق عموما، وعندما كان يحضره على حمار كنت بفضل الله أجد الفرصة لحمل كيس الدقيق إلى داخل دار المسيح. وذات مرة رأيت المسيح الموعود عليه السلام جاء بروبيات كثيرة في هدب قميصه، ووضعها في ثوب الملا أحمد نور دون أن يعدّها، وأمره قائلا: "اذهبْ واشتر الأغراض لدار الضيافة لتدار أمورها على ما يرام".

وروى حضرة ميان جراغ دين: ذات مرة بَحَّ صوتي حتى لم يعد يخرج منه أي صوت، فقال المسيح الموعود عليه السلام لحضرة المولوي نور الدين: "عالِجْ حلقَ جراغ دين، لماذا لا يخرج منه صوت". فظل حضرة المولوي يداويني، ولكن دون جدوى. ثم ذات يوم اجتمع الدكتور محمد حسين شاه، والدكتور يعقوب بيك، والدكتور بوري خان من لاهور، فذكر لهم المسيح الموعود عليه السلام مرضي، وقال لماذا لا يخرج الصوت من حلق هذا الولد. ففحص الدكتور يعقوب بيك حلقي وقال للمسيح الموعود عليه السلام: لو أمرتم حضرتكم قطعْنا بعض اللحم من حلقومه، (أي يبدو أن الصوت انقطع لانتفاخ اللوزتين فلو قطعناهما لخرج صوته) فلم يقل عليه السلام شيئا، بل لزم الصمت. يقول الراوي: ثم بعد بضعة أيام قال لي المسيح الموعود عليه السلام: "جراغ، الآن سنداويك نحن". ثم لم يلبث أن فحصني وقال: "سوف نركب لك دواء". ومن عظيم حِكمة

الله تعالى أنه جاء في نفس اليوم أحد العطّارين من مدينة أمرتسر بجرّة فيها مخلل مصنوع من أوراق عشبة تسمى "آك"، ففتحها حضرته ونظر فيها وقال: "هذا هو علاجك". لقد قال حضرته قبل ذلك إنه سيُعِدّ وصفة، ثم جاء أحد صانعي الوصفات – أو بالأحرى صانع المخللات وغيرها من الأشياء، وكان يعمل أيضًا في مجال الطب – وأحضر ذلك المخلل المصنوع من أوراق "آك"، فقال حضرته: "هذا هو علاجك". وكان عند وقت الطعام يضع ورقتين أو ثلاث أوراق على الرغيف ويعطيني إياها، وكانت لذيذة جدًّا، وقد تناول حضرته أيضًا منها. يقول: فتحسّنتُ بها، فأعطاني حضرته الإناء كله وقال: "كُلْه". فأكلته، وشُفيت تمامًا.

يروي السيد مرزا أفضل بيك فيقول: جئتُ إلى قاديان لأول مرة سنة ١٨٩٨م. والدي مرزا... (هنا كُتب اسم والده أيضًا "أفضل بيك"، ويبدو أن هناك خطأً في الاسم. وعلى كل حال، يقول:) إن والدي مختار العدالة سجّلني في مدرسة تعليم الإسلام الثانوية للدراسة، وكان في سكن الطلاب عدد قليل من الطلاب. وكان الطعام آنذك يُقدَّم لطلاب السكن مع طعام دار الضيافة. فلما حدثت بعض الشكاوى بشأن الطعام، ذكر والدي لحضرة المسيح الموعود عليه السلام أن الأولاد يجدون مشقّة في الطعام. فقال حضرته لطفا منه: "سيصل الطعام إلى طلاب السكن من البيت". وهكذا ظل الطعام يأتينا عدة أشهر من بيت حضرته عليه السلام، بل كان حضرته يرسل أحيانًا من بيته المانجو والحلوى وغيرها لنأكلها.

أخبر خواجه عبد الرحمن الكشميري رضي الله عنه حضرةَ مرزا بشير أحمد رضي الله عنه أن الحافظ حامد علي المرحوم كان يحدثه قائلاً: عندما كان يصل إلى المسيح الموعود عليه السلام مالٌ من أي جهة، كان عليه السلام يستدعيني ويعطيني المال دون عدّه، ويقول: "خذ المال الآن، فلا يُعلم متى يتيسر مرة أخرى". وأقول (أيْ يقول مرزا بشير أحمد رضي الله عنه): كان الحافظ حامد علي المرحوم من خدام حضرته الخاصين، وكان حضرته يُسلّمه المال لتلبية احتياجات البيت وضيافة الضيوف ونحو ذلك.

يروي السيد سيد غلام حسين خان رضي الله عنه قائلًا: أرسلني المسيح الموعود عليه السلام ذات مرة من قاديان لأحضر من بطالة طردًا وصل بالقطار، وأعطاني خمس روبيات لهذا الغرض. (وكان الطرد قد وصل عبر القطار، فطُلب منه إحضاره من بطالة.) وكان الطرد عبارة عن سلّة عنب لم يُصرف على إحضارها سوى أربع آنات. فلما أحضرتُ تلك السلة وقدّمتُها لحضرته، فقطع حضرته غلاف السلة، وأخرج العنب بيديه، فأعطاني منه أولًا قائلًا: "هذا نصيبك". فأردتُ أن أُعيد إليه الباقي من المبلغ، وهو أربع روبيات وثلاث أرباع الروبية، فحمل حضرته السلة ودخل بها إلى الداخل وهو يقول: "نحن لا نأخذ الحساب من أصدقائنا". ويقول: كان عمري آنذاك خمس عشرة سنة.

يقول المنشي القاضي محبوب عالم: كان المولوي محمد علي وخواجه كمال الدين يمارسان المحاماة معًا في بيشاور، وكانا شريكين، أي أن عملهما كان مشتركًا بينهما. ثم جاء المولوي محمد علي إلى قاديان، بينما

بقي السيد خواجه هناك. وحين كانت هناك قضايا مرفوعة على حضرته عليه السلام (ويبدو أنه يعني قضايا كرم الدين) جاء السيد خواجه من بيشاور لمتابعتها. وحين دخل المسيح الموعود عليه السلام المسجد المبارك، تكلم السيد خواجه بوجه بدت عليه علامات الحزن الشديد قائلاً: يا سيدي، الله وحده يعلم كيف وصلتُ إلى هنا! لقد رهنت حلي زوجتي لأحصل على مال الأجرة حتى وصلت إلى هذا المكان، وحالتي المالية سيئة جدًّا. فقال حضرته عليه السلام: "يا خواجه، هل تحتاج إلى المال؟ تعال". ثم ذهب حضرته إلى الداخل، ورافقه السيد خواجه، ففتح صندوقًا، وملأ يده مرّتين أو ثلاث مرات ووضع ما جمعه في حِجر السيد خواجه، وقال للسيد خواجه: "أهذا يكفي أم تريد المزيد؟". فقال السيد خواجه: يكفي يا سيدي، لقد أصبح كثيرًا الآن. وبعد ذلك عدّ السيد خواجه ذلك المال في المسجد المبارك فوجده نحو ثلاثمائة روبية. وفي اليوم التالي غادر السيد خواجه إلى غورداسبور.

لقد وضع حضرته عليه السلام ذلك المال في حِجره من دون أن يعدّه، وكانت هذه عادته أنه لم يكن يعطي المال حتى لخدامه معدودًا، بل كان يثق بهم ثقة تامة. وعلى حد علمي، طول المدة التي أقمتُ فيها عنده، لم يطلب حضرته عليه السلام من أي خادم حسابًا قط، بل كان إذا طلب أحدهم شيئًا يعطيه إياه.

كتب السيد شيخ يعقوب علي عرفاني رضي الله عنه، وهو يذكر كرم المسيح الموعود عليه السلام على السيد خواجه كمال الدين –الذي انفصل اليوم عن الجماعة، ويُكِنّ العداوة والبغضاء لأبناء مُحسِنه – (أي أن المسيح الموعود عليه السلام كان قد أحسن إليه، وهو يُكِنّ العداء لأبنائه، وبالأخص لسيدنا الخليفة الثاني رضي الله عنه) هو في الحقيقة من ذوي الخبرة الواسعة بجود المسيح الموعود عليه السلام وإحساناته وكرمه وعطائه. (أي السيد خواجة ذو خبرة واسعة بكرم المسيح الموعود عليه السلام) لقد أخذ مبالغ لا تُحصى، ومع ذلك لم يعترف قط بأخذها، ولا أفصح عنها بعد أخذها، ولا شكر أحدًا عليها، بل ظل يتفاخر بخدماته، (أي ظل يكرِّر القول إنه يقوم بخدمات عظيمة للجماعة.) كتب السيد عرفاني: إنني أعتبر هذا جحودًا للمحسن ونكرانًا للجميل.

في الأيام التي كانت فيها قضايا المولوي كرم الدين تجري في محكمة غورداسبور، أراه السيد خواجه في إحدى المرات أثناء المحاكمة رسالةً وصلته من بيته في بيشاور، وكان فيها ذكر لضيق ذات اليد. فأعطاه المسيح الموعود عليه السلام على الفور خمسمائة روبية نقدًا، ثم أمر بأن يُعطى مائة روبية شهريًّا، واستمر إعطاؤه مائة روبية كل شهر. كما أن أبناء الجماعة، بناءً على توجيه حضرته، أرسلوا مبلغًا كبيرًا لمصاريف القضية، وكان هذا المبلغ يبقى في عهدة السيد خواجه، ولم يطلب حضرته منه الحساب قط.

وإلى جانب هذا النوع من المعاملة المالية والعطاء، فقد أحضر الصاحبزاده عبد اللطيف الشهيد رضي الله عنه لسيدنا المسيح الموعود عليه السلام معطفًا ثمينًا على الطراز الأفغاني. فطلبه السيد خواجه قائلاً: يا سيدي، أرجو أن تمنحي هذا المعطف لأرتديه عند دخولي المحكمة، فيكون في بركته هيبة لي أمام محامي الخصم وفي المحكمة. فضحك حضرته ومنحه هذا المعطف الثمين المطرَّز.

وقد ذكرتُ في الخطبة السابقة أيضًا أنه جاء إلى حضرته معطف آخر مصنوع من الجلد وكان من نوعية جيدة وممتازة. وحتى في هذه الأيام يُعتبر اللباس الجلدي ثمينًا جدًّا، وكان كذلك في ذلك الزمان أيضًا. وكان حضرته عليه السلام أعطى ذلك المعطف أيضًا للسيد خواجه حين طلبه منه.

قال السيد شيخ حامد علي: إنه لم يطالبني بحساب قط حتى آخر عمره، ولم يغضب مني قط، بل ذات مرة ذهبتُ إلى لاهور حيث أرسل المولوي نور الدين حوالة بسبعمائة، فأخذتُها من هناك وأتيت بها إلى قاديان. (كانت نقودًا، أو حوالة بريدية أو نحو ذلك.) كما أحضرتُ بعض الأمتعة واشتريتُ بعض الأغراض أيضًا، وأعدتُ معي ما يقرب من خمسين روبية، وهذا ما تبقى بعد شراء الأغراض. فقدّمتُ حسابه إلى المسيح الموعود عليه السلام، فقال: "ومتى طالبتك بحساب؟".

يقول السيد شيخ أحمد الدين: ذات مرة أمرني المسيح الموعود عليه السلام أن أذهب إلى أمرتسر، إلى ميان نبي بخش الرفّاء، وكتب لي رسالة وقال: "أعطه هذه، وما يشتريه لك من أشياء فأحضره بسرعة وارجع غدًا". وفي اليوم التالي وصلتُ متأخرًا بعض الشيء. وكان لحضرته خادم يُدعى ميان كرم داد، فأمره أن يذهب سريعًا قائلاً: "لقد أرسلت أحمد الدين إلى أمرتسر ولم يرجع بعد، فاذهب وتحقق من سلامته".

وفي الطريق قابلت السيد ميان كرم داد، فقال لي: إن حضرته قلق عليك جدًّا. فلما وصلتُ إلى حضرة المسيح الموعود عليه السلام قال لي أولًا: "هل أصابك أذى؟". فقلتُ: يا سيدي، لم يصبني أي أذى. وهكذا فرح قلبي كثيرًا لسؤاله عن حالي.

ثم أردتُ أن أقدِّم له ورقة الحساب وبعض النقود المتبقية، فقال حضرته: "ما هذه الورقة؟". فقلتُ بأدب: هذا حساب هذه الأشياء، وهذه هي النقود المتبقية. فقال بمحبة عظيمة: "أيُّ حساب بيننا وبينك؟ خذ هذه النقود وأنفقها على حاجتك". ففرحتُ فرحًا شديدًا.

كتب السيد شيخ يعقوب علي عرفاني رضي الله عنه أن السيد حكيم الأمة مولانا نور الدين رضي الله عنه اقترض من المسيح الموعود عليه السلام مبلغًا من المال في إحدى المرات. فلما أعاد هذا المال إلى حضرته، لم يستحسن ذلك، وأعاده إليه قائلًا: "أتعدّ مالنا منفصلًا عن مالك؟".

ويكتب السيد شيخ يعقوب علي العرفاني رضي الله عنه أيضًا أنه منذ أعلن المسيح الموعود عليه السلام بعثته، وعلم الناس كذلك أن الله تعالى بشّره بقوله إن الملوك سيلتمسون البركة من ثيابه، صار الناس عمومًا يطلبون منه ثيابه، ولم يكن يردّ أحدًا قط. بل كان يحدث أحيانًا ألا يبقى على جسده إلا ما يستره، إذ كان قد وهب سائر ثيابه للناس.

ويقول السيد شيخ يعقوب علي عرفاني رضي الله عنه إن المسيح الموعود عليه السلام أذن للسيد مير عباس أن ينفق ثمن نسخ كتاب البراهين الأحمدية الذي كان لديه. وهذا ليس إلا مثالًا يسيرًا على سعة صدره وسخائه.

ويقول السيد المنشي ظفر أحمد ﷺ إن السيد مرزا نظام الدين والسيد مرزا إمام الدين، مع أنهما كانا من أقارب المسيح الموعود عليه السلام، فقد كانا من أشد معارضيه. ومع ذلك، إذا احتاج أحدهما إلى شيء وطلبه منه، كان حضرته يقضي له حاجته. ويذكر أنه في إحدى المرات، وأمام عينيه، طلب السيد مرزا نظام الدين من حضرته خمسين روبية، أو ما يقاربها، فأمر حضرته على الفور بإرسالها إليه على يد السيد حافظ حامد علي.

كتب السيد مرزا بشير أحمد ﷺ أن الدكتور مير محمد إسماعيل ﷺ حدّثه قائلًا: ذكر لي عبد المحيي صاحب العربي يومًا، وكان ذلك في زمن خلافة الخليفة الأول ﷺ، فقال: ما أعظم سخاء المسيح الموعود عليه السلام! فما عانيت في أيامه حاجةً قط؛ إذ كنت كلما احتجت إلى شيء طلبته منه بلا تكلّف، فكان يمنحني أكثر مما أحتاج، بل وكان يعطيني من تلقاء نفسه أيضًا.

فلما توفي حضرته، لم يستطع الخليفة الأول ﷺ ـ مع ما اشتهر به من السخاء ـ أن يقضي حاجاتي على النحو الذي كان يفعله المسيح الموعود عليه السلام. حتى إني، وقد ضاق بي الأمر، كتبت إليه: لقد أصبحتَ خليفةً للمسيح الموعود عليه السلام، ولكنك لم تَخْلُفْه في قضاء حاجاتي؛ فقد كان حضرته يعاملني بكذا وكذا. فعندئذٍ أعانني الخليفة الأول ﷺ، ولكنني أقول: والله، لا مقارنة بين حضرته وغيره! فما هؤلاء بالنسبة إليه بشيء.

وفي مرةٍ من المرات، سرقت امرأة فقيرة شيئًا من الأرز من بيت المسيح الموعود عليه السلام. فرآها بعض الناس، فضجّوا بالأمر وارتفع الصياح. وكان المسيح الموعود عليه السلام يومئذٍ يعمل في غرفته، فلما سمع الضوضاء خرج، فرأى امرأةً فقيرةً بائسةً تحمل في يدها صرّةً صغيرةً من الأرز.

فلما علم حضرته بما وقع، ورأى حال تلك المرأة وهيئتها، رقّ لها قلبه، فقال: "يبدو أنها جائعة معدمة، فأعطوها شيئًا من الأرز ثم أطلقوا سبيلها، بل زيدوها أيضًا، وتخلّقوا بخُلُق الستر الذي يحبّه الله تعالى".

وبعد أن ذكر السيد مرزا بشير أحمد ﷺ هذه الحادثة، كتب: قد يتسرع بعض الناس فيقول إن هذا التصرف يشجّع على السرقة ويجرّئ السارقين، وإن هذه المرأة سارقة وإنكم تجرّئونها على فعلها. ولكن أهل الحكمة والعقل يدركون أن المال كان مال المسيح الموعود عليه السلام نفسه، وأن المرأة التي أخذته كانت فقيرةً جائعةً تكاد تهلك من الجوع؛ فليس في هذا إعانةٌ على السرقة، بل هو في الحقيقة من باب الإحسان إلى الفقراء والمساكين.

وقد ثبت في الأحاديث أن رسول الله ﷺ كان إذا وجد السارق في مثل هذه الحال، وكان فقيرًا جدًّا، قد حمله الجوع الشديد على أخذ شيء من الطعام، لم يعامله معاملة السارق، بل تغاضى عنه وتغاضى عن فعله. فهذه نماذج من كمال اتباعه لسيده ﷺ.

اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى عبدك المسيح الموعود، وبارك وسلِّم.